Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالحياة ـ حسب التناسخ والكارما ـ عمل وجزاء فى ذات الوقت . والمسئولية الفردية غير كاملة . وإذا كنا رأينا التفرقة العنصرية قائمةً على مستوى الطبقات ، فهى هنا تزداد حدة حين تدخل قيود التناسخ والكارما على المستوى الفردى أيضًا .

ولقد حاول كبار المفكرين الهنود إيجاد صيغٍ جديدةٍ من الهندوكية ، تقل بها وطأة العنصرية القديمة ، وتعطى مجالاً أوسع للمسئولية الفردية . ورغم ما تلقاه الهندوكية من منافسة البوذية والمسيحية والإسلام ، ورغم الجهود الإصلاحية والتجديدية فيها ، فقد بقيت القوة الكبرى فى الهند . وبقى نظام الطبقات ومكانة البراهمة على رأس السلم الاجتماعى أساس الحياة بها[٣٣] . ومع مسار الحياة ظهرت طبقات جديدة كانت قبائل من قبل . وتنوعت الحرف ، وتبدلت المساكن ، حتى زادت الطبقات عن ثلاثة آلاف ، تحتها طبقات فرعية . ولكن هل استطاع هذا أن يصمد أمام المدّ المعاصر ؟ لا . فالاحتكاك بالفكر العالمى ، واتساع فرص التعليم ، وتأثير حياة المدينة ، بكل ما تحمل من متطلبات الحياة والسكنى والطعام والانتقال والعمل وصعوبة أو استحالة الاحتراز فى التعامل اليومى من طبقات أو جماعات معينة . كل أولئك قد هز قوائم نظام الطبقات ، وكان يعطى الدليل بعد الدليل ، فى الحياة اليومية ، على أن عنصرية هذا النظام لا تستطيع أن تصمد أمام تدفق الحياة .. فقد حرم القانون عام ١٨٢٩ شعيرة حرق الزوجة بعد موت زوجها ، وصان عفاف البنات من شهوات بعض المعابد فى جنوب الهند .[٣٤] حتى أن بعض كتابهم يقول عن الموقف العقلى لبعض الهنود المثقفين « ثم مسّوا العلم فإذا بعقائدهم القديمة قد تحطمت أشلاء كأنما نزلت بها نازلة ساحقة ، ولما تجرد هؤلاء الهنود المستغربون عن عقيدتهم الدينية التى هى روح الهند ولبابها ، عادوا إلى وطنهم وقد زالت عن أعينهم الغشاوة التى كانت تزين القبيح ، وسادهم الحزن ، وسقط ألف إله أمام أعينهم من سمائهم صرعى » .[٣٥] ومن البديهى أن هذا القول لا ينطبق على الجميع ، وإن كان خط التطور يشق طريقه مقتربًا من العدالة مبتعدًا عن مقاييس التفرقة العنصرية .

أذكرُ هذا الصراع الطويل كلّه ، وأذكر معه كلمة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام « الناس لآدم . وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم » .